مرثية توماس جراى

نشر الأستاذ على الطنطاوى فى (الرسالة) عدد ١٧٨ بتاريخ ٣٠ نوفبر سنة ١٩٣٢ ترجمة لمرثية جراى الشاعر الانجليزى الشهير نقلاً عن قراءة صديقه الأستاذ حيدر الركابى ، والأستاذ الطنطاوى أديب فنان لا يشق له غبار فى كل ما يكتب ، ومن الأفذاذ الذين رفعوا رأس الأدب العربى الحديث عالياً ، ومن الملهمين الذين أراد الله لهم ولأدبهم الخلود ليؤدوا رسالة الأديب الفنان للمجتمع الذى يعيش فيه . ومما لا شك فيه أن الأستاذ الطنطاوى يؤله أن يقوم إنسان فيغير على آثاره الأدبية يترجمها ويقول على لسانه شيئاً لم يقله ، أو يشوّه أفكاراً وتعابير خالدة فى فنه . ومما لا شك فيه أيضاً أن المترجم يحمل أمانة فى عنقه لمن يترجم عنه ، وعليه أن يؤديها غير منقوصة ، وألا ينقل إلا الواقع وإلا ما أراده ذلك المترجم عنه . وعندى أن الأستاذ لو ترجم المرثية عن أصلها لبان له من روحه الفنانة وإخلاصه ما يجعل ترجمته فى دقتها تقف فى صف واحد مع ترجمة جرالد للرباعيات الخيامية المشهورة . ولو كانت صفحات الرسالة تتسع لأكثر من هذا المقدار لقدمت أمثلة على عدم دقة النقل ؛ والذى يراجع الأصل لا يجد صعوبة فى اكتشاف ذلك وهو كثير . على أن الواقع يدفعنى إلى تقديم الشكر للأستاذ الطنطاوى على الاجادة التى لا تجارى فى ترجمته التى كادت أن تقرب من الكمال . وإنا لنرجو أن يتبارى الشعراء فى نقل هذه القطعة الخالدة إلى الأدب العربى شعراً بالرجوع إلى الأصل مع الاستعانة بترجمة الأستاذ المذكورة

وزيادة لفائدة القراء رأيت أن أذكر مختصراً لحياة الشاعر توماس جراى وعن الظروف التى رافقت نظم تلك المرثية

توماس جراى Thomas Oray

ولد فى السادس والعشرين من ديسمبر ١٧١٦ فى كورن هل (Cornhill) ، حيث كانت والدته وشقيقها يتجران بقبعات السيدات ، وكان والده فيليب جراى كاتب عقود رسمية ، وكان هو الوحيد الذى عاش من أسرة عدد أفرادها إثنا عشر شخصا . وفى سنة ١٧٢٧ التحق بكلية إيتون حيث كان عمه مدرساً مساعداً فى تلك الكلية ، وهناك نشأت صداقته المتينة مع ريتشارد وست ، وهراس ولبول ، وتوماس اشتون

وترك كمبردج فى السنة التالية دون أن ينال أجازة علمية ؛ ورحل فى عام ١٧٢٩ إلى القارة مع صديقه الحميم هراس ولبول فى رحلة استغرقت ما يقرب من التسعة أشهر ، وعاد بعدها الى لندن . وفى سنة ١٧٤١ توفى والده فانتقلت والدته وشقيقتها إلى المعيشة مع أخت ثالثة اسمها مارى فى مقاطعة بكنجهام شير (Buckingham Shire) ، وهناك نظم أول قصيدة عنوانها اجريبينا (Agrippina)

وفى عام ١٧٤٢ مات صديقه ريتشارد وست ، فرثاه رثاء مؤثراً . وفى هذه السنة عاد إلى كمبردج وبقى مدة سنتين حصل فى نهايتهما على درجة بكلوريوس فى الحقوق

وبعد ذلك بخمس سنوات توفيت خالته مارى وأحرق منزله فى كورن هل

وفى عام ١٧٥٠ أكمل مرثيته التى نحن بصددها ، وبعد ذلك بثلاث سنوات توفيت والدته . وفى سنة ١٧٥٧ عرض عليه أن يكون شاعر العرش البريطانى الذى خلا بموت كولى سيبر (Colley Cibber) فرفض ذلك . وبعد ذلك بخمس سنوات عرض نفسه ليكون مدرساً للتاريخ بدلاً من الدكتور ترنر المتوفى فى تلك السنة ، ولكن اللورد بيوت حال بينه وبين هذه الأمنية التى نالها بعد ثمانى سنوات

وفى سنة ١٧٦٥ زار اسكتلندا وهناك عرضت عليه جامعة أبردين Aberdeen أن تمنحه لقب دكتور فى الحقوق فرفض ذلك مستنداً الى أن دراسته فى كمبردج لا تؤهله لقبول مثل هذا اللقب . وبعد ذلك بأربع سنوات نظم نشيده المشهور Ode fo music الذى مُثّل عند تولية دوق جرافتون رئاسة الجامعة التى كان يدرس فيها التاريخ الحديث ، وزار فى تلك السنة منطقة البحيرات

وفى سنة ١٧٧١ توفى فجأة بينما كان يتناول طعام الغداء ، الى جانب والدته فى ساحة الكنيسة فى Stoke Poges فى مقاطعة بكنجهام شير

هذا مختصر لحياة هذا الشاعر . وفيما يلى وصف لظروف المرثية :

Elegy Written in a Country Churchyard

ابتدأ فى نظم هذه المرثية فى عام ١٧٤٢ ولكن القسم الأعظم منها كتبه بين السنوات ١٧٤٦ — ١٧٥٠ ، وقد أتمها فى اليوم الثانى عشر من شهر يونيه سنة ١٧٥٠ ، وفى العاشر من فبراير أرسل إليه رئيس تحرير مجلة المجلات الانجليزية Magazine of Magazines يستأذنه فى نشرها فى مجلته فرفض طلبه . وعند ذلك أسرع وطلب إلى صديقه هراس ولبول أن ينشرها على الناس دون إمضاء . وفى السادس عشر من نفس الشهر طبعت فى كراسة بعنوان « مرثية كتبت فى ساحة كنيسة قرية » مع المقدمة التالية من ولبول : « لقد وقعت القصيدة التالية فى يدى مصادفة ، إذا جاز أن يدعى انتشار هذه القطعة وذيوعها بين الناس عرضا . إن الاستحسان الذى صادفته هذه القصيدة سيجعل اعتذارى لمؤلفها فى غير محله ، لأنه ولا شك يشعر باغتباط شديد لاعجاب الناس وسرورهم بها فيما مضى . ومما لا شك فيه أيضاً أنه سيغفر لى جرأتى على النشر ، لأشاركه تقديم المسرات لعدد آخر غير قليل »

وهناك ثلاث نسخ بخط الشاعر جراى نفسه محفوظة حتى اليوم . فالأولى كانت سابقاً ملكا للسير W. Fraser وهى الآن فى كلية ايتون ، ومن المحتمل أن تكون النسخة الأصلية . والثانية تخص Wharton ورتون وهى موجودة فى المتحف البريطانى تحت الرقم (٢٤٠٠) . والثالثة فى كلية بيمبروك Pemdroke وفى آخر هذه النسخة كتب جراى بخطه أيضاً ما يأتى : « نشرت فى فبراير سنة ١٧٥١ بواسطة دوزلى وأعيد طبعها أربع مرات شهرين ، وبعد ذلك طبعت الطبعة الخامسة حتى الحادية عشرة . وأعيد طبعها فى ١٧٥٣ بواسطة مستر بنتلى ثم ترجمت الى اللاتينية وطبعت فى عام ١٧٦٢ »

(نابلس) ف . . . . .

الثقافة والأنتاج العلمى
فى فلسطين

للأستاذ قدرى حافظ طوقان

لا يختلف اثنان فى أن الوضع الحاضر فى فلسطين شاذ وغير طبيعى وهو غيره فى الأقطار الشقيقة المجاورة ، فالكل يقاسى آلاماً مبرحة من الاستعمار والمستعمرين ، والكل واقع تحت نير الاستعباد والعبودية ؛ ولست واجداً أحداً يرضى عن السياسة المتبعة فى بلاده وعما يجرى حوله ، إلا أن هناك فرقاً بين فلسطين وغيرها من البلاد المجاورة ، ففى هذه جبروت واحد وطاغية واحد ، وهنا جبروتان وطاغيتان قد تسلحا بالخبث والمكر والقوة والدهاء ، وعلى هذا فالمصيبة هنا أعظم والبلاء هنا أعم والخطر محدق والفناء يتهدد

ومن الطبيعى أن بلاداً هذه حالها لا تكون صالحة للانتاج العلمى ولا لازدهار الثقافة والأدب بالمعنى الواسع . ومن الطبيعى أن تؤثر هذه الأوضاع على الشباب المثقف وعلى الأدباء والعلماء فتأخذ قسما من أوقاتهم ومجهوداتهم وتفكيرهم يصرفونها فى مبادئ السياسة لدرء الأخطار المحدقة ، ولتخفيف المصائب المنصبة علينا انصباباً من كل جانب . وكيف يمكن لثقافة أن تنمو ، ولقريحة أن تنتج وتبتدع إذا لم تكن تلك القريحة فى جو من الحرية ، وفى محيط خال من القيود والاغلال ليس فيه من يسخرك لمنافعه ومصالحه ، وليس فيه من يسعى للقضاء على معنوياتك ، وعلى قتل الطموح فيك ؟

وكيف يمكن لشاب أن يعكف على العلم بقصد الاستزادة والاكتشاف والبحث والاستقصاء إذا لم يكن هناك من يساعده ويشجعه ويأخذ بيده ؟ فكيف به إذا وجد فى محيط كله تثبيط للهمم ، وكله إحباط للعزائم ؟ . وإذا تتبعنا الطرق التى تسير عليها الحكومات المستعمرة فى مختلف دوائرها ، ولا سيما المعارف منها نجد أنها ترمى إلى القضاء على روح الطموح ، على روح البحث وحب الاستزادة من العلوم والفنون ؛ ترمى إلى خلق روح الاعتماد فى المناقشة على الغير ، إلى إماتة الروح الوطنية ،